أعظم سؤال في الحياة
(مرقس ٨:٢٢-٣٠)

تأليف: جو شوبيرت

منتصف الأصحاح الثامن من إنجيل مرقس يمثل نقطة التحول في هذا الإنجيل. هو المكان الذي فيه أتخذت رسالة يسوع وخدمته منعطفا جديداً. يمكن ملاحظة التشديد الجديد في خدمته من هذه النقطة فصاعداً.

معجزة غريبة (مر ٨:٢٢-٢٦)

يبدأ النص بواحدة من أغرب المعجزات التي أجراها يسوع على الإطلاق. انها غير عادية لأنها المعجزة الوحيدة التي تمت في مرحلتين. كانت هي الوحيدة التي تمت بتسلسل بدلاً من العلاج المباشر. بالإضافة إلى ذلك، فان مرقس البشير هو كاتب الإنجيل الوحيد الذي دون هذه المعجزة المعنية. هذا يجعلها أكثر غموضاً مما كانت عليها.

تم تدوين المعجزة بهذه الكلمات:

> وجاء إلى بيت صيدا. فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه. فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل في عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئاً. فتطلع وقال «أبصر الناس كأشجار يمشون.» ثم وضع يديه أيضاً على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحاً وأبصر كل إنسان جلياً. فأرسله إلى بيته قائلاً: «لا تدخل القرية ولا تقل لأحد في القرية» (الآيات ٢٢-٢٦).

في جميع الحالات الأخرى كان شفاء يسوع فعالا وكاملا وكان عادة يتم في الحال. لماذا أختلفت هذه الحالة أختلافا فريدا من نوعه ويبقى بها شيء من الغموض.

رآها البعض بدرجتين من الرؤية للرجل الذي شفى موازيا لمستويين من الفهم لخدمة يسوع من جانب الرسل. انهم أصروا بان عندما رأى التلاميذ مفهوم معين ليسوع ولخدمته بطريقة مبهمة في ذلك الوقت، وسيروا حالا نفس المفهوم بوضوح أكثر. ذلك التفسير، رغم انه مبدع بعض الشيء، إلا انه بعيد عن اليقين. فلنترك السر حيث يوجد. لا يمكننا أن نعلم حقاً لماذا أجريت هذه المعجزة في مرحلتين. لم يُعطى أي تلميح في الأسفار المقدسة.

يتلخص الحدث كله بآية ٢٦: «فأرسله إلى بيته قائلاً، لا تدخل القرية ولا تقل لأحد في القرية.» لماذا؟ القرية التي تكلم عنها هي بيت صيدا (آية ٢٢). تم تدوين شيء عن بيت صيدا في إنجيل متى مما يسلط بعض الضوء على السبب الذي من أجله كلم يسوع هذا الإنسان الذي شفى ان لا يذهب إلى قرية بيت صيداء ولا يقل لأحد عن شفاءه. في إنجيل متى الأصحاح ١١ و الآيتين ٢١ و ٢٢ قال يسوع:

> ويل لك يا كورزين! ويل لك يا بيت صيداء! لأنه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد. ولكن أقول لكم إن صور وصيداء تكون لهما حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما.

من الواضح ان يسوع يؤمن في وقت هذا الشفاء بان قد أجريت معجزات كافية في بيت صيداء، ولم يبقى هناك أي احتمال بان تلك

المدينة الشريرة ستؤمن عند الخبر باجراء معجزة واحدة أخرى. فانهم قد تلقوا معجزة بعد معجزة. لهذا كان يسوع يقول « ليس هناك سبب. لأن سكان هذه القرية غير مؤمنين. » قال للأعمى الذي شفي: « لا تدخل القرية. بل اذهب إلى مكان آخر. » لم يكن هذا سوى تطبيق للوصية التي تقول: « لا تضع اللآليء أمام الخنزير. »

٢. سؤال رزين (مر ٨:٢٧-٣٠)

والأن يخبر متى عن يوم ذات أهمية كبرى عندما سأل يسوع تلاميذه سؤلاً حاسماً. يبدأ في الأية ٢٧:

> ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس. وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم: « من يقول الناس إني أنا؟ » فأجابوا: « يوحنا المعمدان؛ وآخرون إيليا؛ آخرون واحد من الأنبياء. » فقال لهم: « وأنتم من تقولون إني أنا؟ » فأجاب بطرس وقال: « أنت المسيح. » فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه (الآيات ٢٧-٣٠).

الأمر الذي تم سرده في هذ المقطع القصير هو الأكثر خطورة والأكثر أهمية التي يمكن وضعه أمام البشرية. من هو يسوع المسيح؟ هذا الأمر. يتوقف كل شيء آخر نفعله على قدر كبير على إجابتنا لذلك السؤال.

إذا قرر بوذي بان بوذا لم يعش أبداً، فلا يؤثر هذا في مذهبه البوذي ولا بقليل. لا يؤثر على إيمانه، أو الفكر أو حياته. إذا غير الهندوسي فكره عن ربه كرشنا، فلا يؤثر في إيمانه الهندوسي. لم تؤسس المعتقدات الشرقية على الشخصيات. وإنما أسست على مفاهيم سيكولوجية. يمكن لأحد أن يستأصل حتى مؤسس الديانة وهذا لا يغير جوهر ذلك النوع الوهمي من الإيمان الشرقي.

ولكن الإيمان المسيحي أوطريقة الحياة المسيحية ليست كذلك على الإطلاق. المسيحية كلها قائمة على ألوهية وشخص يسوع المسيح. هويته هي الصخرة الراسخة التي يقيم عليها كل شيء آخر يؤمن به ويمارسه. إذا كان بطرس على حقيقة عندما قال « يا يسوع، أنت مسيح الله. » كما سجله لوقا البشير، إذن يسوع هو إنسان كل التاريخ الذي ينبغي اتباعه. إذا كان بطرس على حق، إذن يسوع هو الرجاء الوحيد للناس.

الموضوع هو: « من هو يسوع؟ » يجب للموضوع أن يُحل بيسوع. هل يجب على الفرد ان يصير مسيحي؟ هذا يتوقف كله على من هو يسوع. إذا يسوع هو من أعترف به بطرس انه هو، إذن نعم يجب على كل شخص أن يكون مسيحي.

في بعض الأحيانً يقول لي شخص ما بأنه يريد أن يكون عضوا في كنيسة معينة وذلك بسبب المحبة والشركة والدفء التي يجعلونه يحس بها. اني استجيب دائماً بالقول، رغم اننا سعداء بالشعور بالمحبة والدفء والشركة، ولكن ذلك ليس السبب للبحث عن الصداقة مع هذه الجماعة. هذا صحيح لأنه قد يأتي إلى مكان ما في وقت ما بحيث لا توجد هذه الأشياء. إن كانت استجابته لله تتوقف على المحبة والشركة، وإذا وصل إلى مكان حيث لا توجد المحبة والشركة، فانه سيموت. الإستجابة التي تحث كل شخص ان يتقدم في هذه الجمعية ليجعل حياته مستقيمة مع الله لا بد أن يكون موضوع يختص بشخص يسوع المسيح. لا بد أن تكون استجابة لإنجيل يسوع المسيح. أي موضوع آخر لايكون ذا قيمة دافعة لكي تصير عضو في جماعة من الناس التي يدعها الكتاب المقدس الكنيسة. علينا أن نتعامل مع يسوع واحد. السؤال الحاسم هو: من هو يسوع المسيح؟ هنا و كما يخبرنا مرقس البشير، بالقرب من قيصرية فيلبس. توجد العديد من المجامع الدينية حول تلك المدينة الوثنية، وخاصة الكثير من الديانات اليونانية المبهمة. صار يسوع يجول في الجليل لمدة من الزمن. في هذا اليوم دعا إليه تلاميذه على الإنفراد وأراد أن يسألهم السؤال المهم فعلا. لابد انه كان يؤمن بان الوقت قد حان لطرح ذلك السؤال عليهم.

أول الأمر، سأل سؤالا ثانويا. قال: « من

يقول الناس إني أنا؟ كان يعلم ما يقول الناس عنه. عندما سأل يسوع هذا السؤال، كان يهيء الحالة. كان يعد ليسأل السؤال المهم حقاً، السؤال الأعظم. لهذا سأل في البداية: من يقول الناس إني أنا؟ ماذا يقول الجموع عني؟ »

من المهم ان تعلم ما كان يقول الناس عنه. كان بعضهم يقولون، انه « إيليا. » ويقول آخرون: « انه يوحنا المعمدان. » وأيضاً آخرون يقولون: « أومن بانه نبي آخر من القائمة الطويلة لأسماء الأنبياء العبرانيين. » كانت كل من وجهات النظر هذه تدل على مدح لأن أولئك الناس – إيليا، يوحنا المعمدان، الأنبياء العبرانية – كانوا كلهم أناس احترمتهم الجموع.

عندما أعود بالذاكرة إلى الماضي، لا أعتقد بانني قابلت على الإطلاق شخص يقف معي وجهاً لوجه ويقول شيء خبيث ومشين عن يسوع المسيح. قد لا يعترفون به كرب، ولكنهم لا ينطقون بشيء خبيث عنه. معظم الناس الذين تحدثت معهم مدحوا يسوع. على سبيل المثال، قال عدد منهم: « يسوع هو أعظم معلم اخلاقي عاش على الإطلاق. » طبعاً، يريدون أن يمتثلوا بآدابه، ولكن ليس بشخصه. لم يقبلوا المسيح كله عندما يجعلوا مثل هذا الفرق. وهنالك آخرون الذين قالوا: « أومن بانه كان إبن الله، » ولكنهم يسرعون باضافة: « كما ان كل البشر هم ابناء الله. » وقالت مجموعة ثالثة: « أرى يسوع كبطل اجتماعي. كان هو الصديق وبطل المساكين. » كانت هذه ما يراها معلمي الإنجيل الإجتماعيين في يسوع الذين عاشوا في الجزء الأول من القرن التاسع عشر. هذه حقيقة، فان يسوع كان صديق المساكين، ولكن الناس المتمسكين بهذا الجزء من شخص يسوع قد تخلوا عن الجزء الآخر من شخصه، مثل أولهيته.

في مفهوم ما، كل هذه العبارات عن يسوع فيها بعض الحقائق. ولكن أي شخص يأتي بهذه النوع من الألقاب عن المسيح، لم ينظر إلى كل ما قاله يسوع أو فعله. انهم يغفلون، على سبيل المثال، العبارة عن إبن الإنسان له سلطان ليغفر خطايا ومناداته كل وقت إلى إنقضاء عندما يأتي بملائكته في سحاب السماء. انهم لا يتعاملون مع المسيح بكل كيانه. انهم لا يتعاملون مع يسوع بكل كيانه، يسوع الذي قال في إنجيل يوحنا ٦:١٤ « أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. »

لا يلزم على أحد أن يقبل ما ادعى به. ولكنك إن كنت رجل أو إمرأة، لا يمكن أن تكون محايد. عليك أن تنحاز إلى أحد الجوانب.

بعد ان انهى يسوع تقديم هذا التعليق عما قاله الناس، شرع في الأمر الحقيقي. بعد ان حصل على الإجابات من التلاميذ عن من كان يقول الناس انه هو، نظر حوله إلى الرسل وقال: « ماذا عنكم؟ من تقولون إني أنا؟ »

لم أومن بان الله أرسل إبنه إلى العالم ليفوز باي إنتخابات. لا أومن بان الله أرسل يسوع إلى العالم ليخضع إلى تصويت الآراء. بل أرسل يسوع إلى هذا العالم ليواجه الرجال والنساء بشخصيته، لكي يأتي بهم فردياً ليقرروا بأنفسهم من هو {يسوع}. هناك فرق كبير بين قرار ورأي. لا يرغب يسوع في الآراء. وإنما يرغب في القرارات. يريد أن يقف أمام كل شخص في عمر المسؤولية على وجه المسكونة ويقول: « من تقول إني أنا؟ » أنه لا يؤثر أو يضغط أو يجبر أحداً ليختار طريقه. جاء ليقف أمام الناس لكي تسنح لهم الفرصة ليقرروا في ذاتهم بصدق من هو.

هذا يخبرنا عن مهمتنا كمسيحيين؛ لسنا هنا على هذه الأرض لنجري تصويت الآراء ونبلغ النتائج في نشرة الكنيسة. بل نحن هنا لنقف أمام الأفراد ونقول: « هذا ما قاله وما فعله يسوع. هذا ما أدعاه. ماذا تقول انت عنها لآن؟ لا ينبغي علينا أن نخجل عن ان نسأل الناس بمثل هذا السؤال. بهذا المقدار من الإرتباك في عالمنا اليوم، ومع أناس ضالين بهذا المقدار، لماذا نخجل من طرح مثل هذا السؤال؟ أحياناً يقوم السؤال بعمل جيد أفضل من » التكرار الكثير « للعبارات التي من الظاهر

اننا نميل إلى قولها. أن نقول: » اسمع يا صديقي، ما هو هدف حياتك؟ ما الذي تعيش من أجله؟ ما هي الأهداف التي تدفعك لتقوم بما تفعله؟ عندما تبلغ قمة الإقتصاد الإجتماعي، أين ستكون؟ ما الذي يوجد فيك وفي صورتك الذي سيبقى إلى ما بعد هذه الحياة؟ ماذا تظن بما قاله يسوع المسيح؟ هذه هي الأسئلة – تحقيق دقيق، وأسئلة بحث – هي التي نريد أن نسألها.

قد تربى كثيرون في جو مسيحي ولم يواجهوا أبداً من يطالب بالقرار. قد ورثوا إيمان الذي هو ليس بايمان على الإطلاق. انه نوع من حضارة أو ثقافة دينية التي ليست بها شيء عندما يحتاج إليه أحد. بعض من أولئك الناس متدينين جداً، ولكنهم لم يتقابلوا وجهاً لوجه مع إنسان يطلب القرار. في الأصحاح ٨ من إنجيل مرقس، التفت يسوع إلى الرسل وقال: « من تقولون إني أنا؟ » ذلك هوالسؤال المهم كله.

يخبرنا مرقس البشير بان بطرس – بطرس المندفع والصريح – أعطى الإجابة: « أنت المسيح. » قال لوقا البشير بان بطرس قال: « مسيح الله. » ويقول متى البشير: « أنت المسيح إبن الله الحي. » مسيح « هو منصب يعني تماماً ما تعنيه الكلمة العبرية مسيا. وتعني » مسيح الله « ليس علم. اسمه الأصلي هو يسوع؛ المسيح هو منصبه. كان هو يسوع، المسيح؛ يسوع، مسيح الله. كان بطرس قد سمع ورأى بعض الأشياء. كان الله قد وجد طريقه في قلبه إذ علم بان تصنيفات البشر غير وافية بالغرض. »

وفيما بعد، صرح بطرس بذلك الأعتراف بمزيد من اليقين وبقدر عظيم من الفهم، لأنه عاش ليرى المسيح يتألم، ويموت، ويقام من الأموات. لا يستطيع أحد، ليس حتى سنهدريم اليهود ان يمنعه من تبشير تلك الحقيقة في كل العالم حتى وصلت أخيراً إلى روما ذاتها. وفي روما من الواضح انهم أوقفوه عندما قتلوه هناك. قال بطرس: « أنت المسيح ».

من خلال خبراتي الشخصية، لا أعرف شخص أخذ نظرة مخلصة عن يسوع ولم يأتي بالإستنتاج نفسه الذي وصله بطرس. على كل شخص ان يتعامل مع شخصية يسوع الناصري عاجلاً أم آجلاً. من هو؟ ذلك هو سؤال الحياة المطلق.

الخلاصة

كمسيحيين، قد تعاملنا مع هذا السؤال. أتى ذلك اليوم من حياتنا عندما وقفنا أمام مجموعة من الناس وقلنا: « أومن بان يسوع هو المسيح، إبن الله الحي. » واثقين بان مهمتنا كمسيحيين هي ان نضع حياتنا باستمرار أمامه بخضوع تام. مهمتنا ان نسموا به أمام الآخرين حتى يواجههم بهويته. حكم السؤال هو: « من تقول إني أنا؟ » لا بد أن يعطيه كل منا. يتوقف كل شيء في كل من الآن والأبدية على الإجابة التي ندلي بها.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧